محطات من التواصل بين الجزائر والمشرق العربي

د . حميدي أبوبكر الصديق جامعة المسيلة . الجزائر

مقدمة:

شكلت النخبة الإصلاحية الجزائرية جسرا للتواصل مع المشرع العربي والتفاعل معه علميا وثقافيا وسياسيا، من خلال قوافل الحج، أو الرحلات العلمية، أو نسج علاقات مع الجمعيات الفاعلة على الساحة الثقافية والسياسية، أو من خلال المبادرات الخاصة لبعض الشخصيات العلمية.أو المشاركة في مؤتمر القدس سنة 1931 من طرف الشيخ إبراهيم اطفيش ، والأمير سعيد الجزائري الذي كان مقيما في الشام . إضافة إلى التفاعل مع رجا الإصلاح والحركات الإسلامية في المشرق العربي وإباء الرأي اتجاه عدد من القضايا المهمة

فكانت هذه النخبة المعبرة عن حال المجتمع الجزائري في المشرق من حيث البعد الثقافي والمواقف السياسية قد أثبتت حضورها وفاعليتها رغم الظروف الاستعمارية الصعبة. فما هي الوسائل التي سخرت لصنع هذه العلاقات؟ وكيف استطاعت التأثير في هذه الأوساط ؟ وموقع السلطة الفرنسية من هذه التحركات ؟

➢ 1. دور الحج في التواصل العلمي بين علماء الجزائر والحرمين الشريفين

وفيما يخص التواصل العلمي بين علماء الحرمين الشريفين والعلماء المغاربة بواسطة الرحلة العلمية من بلاد المشرق إلى البلاد المغاربية؛ فإن المصادر التاريخية تشير إلى هذا التواصل العلمي الثقافي بين الجانبين، ولكنه لا يقارن بما يحصل في رحاب الحرمين الشريفين بمكة والمدينة أثناء السنة عامة وفي موسم الحج خاصة، فالعلماء المغاربة كانوا يأتون إلى بلاد الحرمين الشريفين لأداء ركن من أركان الإسلام وعبادة الله عز وجل وزيارة لمسجد رسول الله ، فساعد ذلك على تزايد توافدهم باستمرار إلى بلاد الحرمين الشريفين بأعداد كبيرة في موسم الحج طاعة لله وإتباعا لسنة رسول الله، مع ما يجدونه من لذة وسعادة وراحة نفسية أثناء سيرهم لأداء هذه الشعيرة العظيمة، وخلال مدة إقامتهم بمكة المشرفة والمشاعر المقدسة وفي المدينة المنورة، فهم بين طاعة وعبادة وطلب للعلم، وتواصل وتحقيق أخوة إسلامية مميزة وفريدة ونادرة مع إخوانهم حجاج بيت الله الحرام، أو أقرانهم من العلماء من بقية الأمصار الإسلامية الذين اجتمعوا في رحاب الحرمين الشريفين.

ومن الأسباب التي أدت إلى ندرة قدوم علماء الحرمين الشريفين للجزائر أو تسجيل رحلات لهم نحو بلاد المغرب العربي أن ما يبحث عنه العلماء وطلبة العلم بمكة والمدينة من علم والتقاء بالشيوخ والعلماء المسلمين الآخرين قد تهيأ لهم ذلك من خلال قدوم علماء الجزائر وغيرهم إلى رحاب البيت العتيق لأداء فريضة أو إلى الروضة الشريفة بالمدينة للصلاة في المسجد النبوي، فخفف الله عنهم عناء السفر والانتقال والارتحال لطلب العلم بوصول هؤلاء العلماء الفضلاء من شتى أقطار البلاد الإسلامية، مما شجعهم على استغلال الأوقات في الاستفادة من هؤلاء العلماء، وحثهم على لقاءهم والجلوس إليهم للأخذ من علومهم، فكانت أروقة الحرمين الشريفين خلال موسم الحج خاصة منهلاً عذباً عاماً ينهل منه

العلماء وطلبة العلم المسلمين في كافة العلوم الإسلامية، وهذه إحدى المنافع المباركة من أداء فريضة الحج وسوف تستمر هذه المنافع والفوائد مع استمرار توافد العلماء إلى بلاد الحرمين الشريفين .

وكان العلماء الجزائريون يستفيدون من المكتبات وخزائن الكتب الموقوفة على الحرمين الشريفين، ويستعيرون بعضها للقراءة والاستفادة منها، فضلاً عن شرائهم للعديد من المؤلفات في مختلف العلوم الإسلامية، فكان ذلك من أسباب حفظ هذه المخطوطات ونقلها إلى خزائن الكتب بالبلاد المغاربية على يد العلماء الجزائريين .

وأشارت المصادر التاريخية إلى تواصل وثيق بين علماء البلاد المغاربية وبلاد المشرق، فنحد طائفة من العلماء المغاربة ارتحلوا إلى المشرق الإسلامي، واستقروا في طريقهم بالديار المصرية، ونزلوا بها وقد تركوا للأجيال بعدهم عدداً كبيراً من المؤلفات العلمية، وساهموا في إثراء الحركة الثقافية والفكرية في الشرق الإسلامي عامة والبلاد المصرية خاصة، وأورد الرحالة في مؤلفاتهم عن رحلاتهم وصفاً لما شاهدوه أثناء إقامتهم في بلاد مصر والحجاز، مثل المساجد والآثار والأسواق والمكتبات ودور العلم وما تحتويه من ذخائر وكنوز علمية، وحضر بعض هؤلاء الرحالة درو--س العلماء فوصفوا أساليب التعليم وتضلع رجال الفقه والحديث وغيرها من العلوم الإسلامية .

وقد كان التوجه لأداء فريضة الحج من أهم الأسباب التي ساعدت على هذا التواصل بين المسلمين في الجزائر وبلاد الحرمين الشريفين مروراً بالديار المصرية.

وقد أشار عبد الله بن محمد العياشي – صاحب الرحلة الشهيرة – أنه خلال مجاورته بالحجاز لعدة سنوات أخذ عن علماء الحرمين الشريفين، ومنهم زين العابدين الطبري، وعبد الله باقشير، وعلي بن الجمال، وعبد العزيز الزمزمي، وإبراهيم الكردي، وحسن العجمي، بالإضافة إلى العلماء المغاربة المجاورين بمكة والمدينة في تلك الفترة، مثل: عيسى الثعالبي أحد أعيان العلماء الجزائريين المهاجرين إلى مكة والمدينة .[1]

ومن ذلك ما ورد في ترجمة الشيخ حسن المشاط المكي، حيث قال عن ذلك: «وحين قدم العلامة حمدان بن سيدي أحمد الجزائري الونيسي القسطنطيني إلى مكة المشرفة حاجاً عام (1337 ه) أنه تشرف بالاجتماع به، وقرأ عليه من أول مختصر خليل بمكة وبمنى أيام الحج وبعد النزول بمكة، ومكث إلى نهاية ذي الحجة ومحرم الحرام، وانتفع به الشيء الكبير...».[2]. وتولى بعض العلماء المغاربة التدريس والتعليم بالحرمين الشريفين، والفتوى للمستفتين، أثناء نزولهم بمكة المشرفة وزيارتهم للمسجد النبوي الشريف بالمدينة.

ومن الأمثلة على التواصل العلمي بين علماء الجزائر وغيرهم من علماء المشرق، نجد الشيخ مرتضى الزبيدي إمام أهل اللغة في القرن الثاني عشر الهجري الذي تتلمذ على يد محمد الحسني البليدي الجزائري.

إن هذه الإشارة الموجزة لجهود العلماء تبين لنا الأعمال الجليلة التي قاموا بها في مجالات العلم والتعليم والفتوى والقضاء والإرشاد والتوجيه في مختلف الأقطار الإسلامية التي مروا بها أو استقروا فيها خلال رحلات الحج أو طلب العلم أو نشره بين أبناء الأمة الإسلامية، وهي أعمال جليلة لهؤلاء العلماء ما زالت آثارها وفوائدها

---

[1] ـ أبو القاسم سعد الله، «مع العياشي في رحلته إلى القدس»، مجلة التاريخ العربي، عدد 10، 1420 ه، ص. 194.

[2] ـ عبد الحميد أبو سليمان، عطاء العلماء الوافدين إلى مكة، د ت ط ، ص ص. 363-364.

شاهدة على فضلهم حتى وقتنا الحاضر، وما تلك الأعمال إلا ثمرة طيبة من ثمار ومنافع التوجه إلى بلاد الحرمين الشريفين؛ لأداء فريضة الحج وزيارة مسجد رسول الله ، ونتج عنها عبر العصور التاريخية ذلك النموذج الفريد للتواصل بين علماء الجزائر وعلماء الحرمين الشريفين بمكة والمدينة.

➢ 2 ـ متابعة الصحافة الفرنسية لقوافل الحج

وحسب الصحافة الفرنسية فإنه لأول مرة في سنة 1940 هذه السنة يتم مرافقة بعثة مصورة وإذاعية للحجاج الجزائريين للبقاع المقدسة ، ورغم ظروف الحرب فإن المسلمين الموالين للإمبراطورية البريطانية وفرنسا يتوافدون بقوة ،وتقول أيضا أن فرنسا تحترم كثيرا اعتقادات رعاياها ،ورغم ظرف الحرب فإنه في هذه السنة كان تنقل الحجاج تحت رقابة الحكومة وجهزت سفينة لنقل الحجاج انطلاقا من الجزائر العاصمة ابتداء من الخامس جانفي 1940 وهي متاحة لكل زائري البقاع المقدسة باعتبار الحج أحد الأركان الخمسة في الإسلام[1] .

والواضح أن فرنسا أرسلت وفدا رسميا لمتابعة وفود الحجاج في شمال إفريقيا كالعادة لتتبع آثار الحجاج وعلاقاتهم وخاصة في ظل الحرب، وحسب المصادر الفرنسية ذاتها أن الملك عبد العزيز بن سعود استقبل الوزير الفرنسي في جدة والذي كان بصحبة المحافظ الفرنسي القادم مع الحجاج الجزائريين والمغاربة أيضا ، كما طلبوا قبول هيئة التصوير في الحجاز ، وهذه الفرقة ركزت على تصوير الفرحة والسعادة التي كانت تسود الحجاج في ظل الظروف والخدمات التي وفرتها فرنسا حسبها .[2]

والملاحظ أيضا أن الحجاج المغاربة هذه السنة كانوا مؤطرين من قبل الحكومة في الجزائر ، واعتبرت فرنسا أن موسم الحج هذه السنة كان ناجحا وحظي بتنظيم حسن وأعطى صورة قوية لفرنسا في أذهان البلدان الخاضعة لها حسبها ،وقالت أن أحسن شركة في تقديم الخدمات للحجاج هذه السنة هي للسيد الباشاغا بن شنوف ، وأن فرنسا اهتمت بالحج هذه المرة حتى لا تترك مجالا للدعاية المضادة لها، ولذلك أرسلت العديد من البعثات لجدة وداخل البقاع [3] .وطبعا فإن البعثة التي ترافق الحجاج داخل الحرمين تكون من المسلمين الجزائريين .

➢ 3 ـ الجزائر ومؤتمر القدس

لقد شارك في مؤتمر القدس سنة 1931 عن الجزائر الشيخ إبراهيم اطفيش ، والأمير سعيد الجزائري الذي كان مقيما في الشام إلى جانب حضور زعماء مغاربة آخرين أمثال الثعالبي ومحمد المكي الناصري ومحمد منوبة وبشير السعداوي ، وساهم هؤلاء جميعا في عدة تظاهرات لنفس الغرض وظلت قضية فلسطين حاضرة في الضمير الجزائري وخاصة بعد تقسيم 1937 ، حيث أسس الشيخ الطيب العقبي ومحمد الأمين العمودي لجنة إغاثة فلسطين والدفاع عنها ،وراسلا وزير خارجية فرنسا احتجاجا على ذلك وفي نفس الفترة تأسست لجنة الشباب

---

[1] A.O.M .16 H 101 . LA MACQUE.

[2] A.O.M .16 H 101 , OP. CIT notes sur le pèlerinage nord-africain au lieux saints de l'islam en 1940 p 07 .

[3] -OP .CIT P 08 .

الإسلامي الجزائري لإغاثة فلسطين [1]. ثم تأسست لجنة إغاثة فلسطين سنة 1948 في نادي الترقي غداة إعلان دولة إسرائيل وأشرف عليها كبار العلماء ورجال الحركة الوطنية أمثال الإبراهيمي والعقبى ، وإبراهيم بيوض والمدني وفرحات عباس ، وراسلت العديد من الهيئات المعنية احتجاجا على مشروع التقسيم .

➢ 4 ـ العلاقة بين علماء الجزائر والإخوان المسلمين

كانت العلاقة بين العلماء في العالم الإسلامي تقليدا موروثا عبر الأجيال ، وتعزز هذا الأمر خلال القرن العشرين لعوامل المواصلات والهجرة والتنسيق بين الحركات الإصلاحية عامة . وبحكم أن حركة الإخوان المسلمين[2] هي التي طفت على المشهد الإصلاحي بمصر فإن علماء الجزائر كانوا ضمن هذا السياق على صلة بهذه الحركة وتطورت هذه العلاقة عبر السنين .وربما كان عمر التلمساني الجزائري من الأوائل الذين انخرطوا في هذه الحركة بحكم أن عائلته كانت مستقرة بمصر منذ مدة زمنية طويلة .وأثبت هذا الرجل قدرته العلمية والحركية مما أهله لاحقا لقيادة الحركة [3]، وهذا يعد مؤشر على انفتاح هذه الحركة على أبناء العالم الإسلامي حتى في مستوى الصف الأول .

وفي نهاية الثلاثينات وثق الشيخ الفضيل الورتيلاني هذه العلاقات أكثر ، وأصبح عضوا فاعلا في الجماعة بما يمتلكه من إمكانيات الخطابة والقدرة على الاتصال فساعده ذلك على العمل في قسم الاتصال بالعالم الإسلامي . [4] وفي باريس كان زميل الورتيلاني القائم على النشاط الإصلاحي والمشرف على نوادي التهذيب التابعة لجمعية العلماء الجزائرية هناك : الشيخ سعيد البيباني يشيد بالسيد كمال أبو المجد الذي ينتمي لجماعة الإخوان بأنه كان يساهم في نشاطات هذه النوادي ووصفه بأنه" أحد رجال الإخوان المسلمين المؤمنين الثابتين والمضحين".[5]

ويبدو أن الحركة استقطبت حتى العناصر الجزائرية الإباضية أمثال الشيخ إبراهيم اطفيش الذي كان قريبا جدا منهم ومعجبا بالمنهج الدعوي لهم وليس غريبا أن يكون دخول ابنه محمد [6] في الجماعة تحت علمه [7] . وكانت فترة الأربعينات من القرن العشرين أن شهدت مصر إقبالا من قيادات مغاربية سياسية وإصلاحية متنوعة وحاول الإخوان التقرب من هذه القيادات وخاصة الدينية منها ، وإن كانت المصلحة متبادلة والهموم مشتركة في هذا التقارب [8].

---

[1] ـ مولود عويمر ، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر ، ط01 ، دار الخلدونية ، 1428 ، 2007 ن ص 19.

[2] ـ تأسست سنة 1928 بقيادة حسن البنا .

3 ـ جاء بعد البنا والهضيبي .

4 ـ المعروف على الورتيلاني أنه كثير التحرك في بلدان العالم العربي وأوربا وواجه الكثير من المشاق في هذه المهمات وخاصة في قضية اليمن .

[5] ـ حاولت الجمعية الاستفادة من المثقفين والعلماء الوافدين من البلدان العربية لباريس في عملية التأطير التربوي للنوادي .

6 ـ مولود عويمر ، أعلام وقضايا في التاريخ الإسلامي المعاصر ، ط01 ، دار الخلدونية ، 1428 ، 2007 ن ص 23.

7 .كان ابنه محمد عضوا في جماعة الإخوان وسجن في سجن الطور عام 1949 ضمن الجماعة .

8 ـ من أوجه هذا التقارب النشاطات المشتركة لمواجهة الاستعمار وفي الصحافة ولصالح القضية الفلسطينية .

كانت البصائر هي المنبر الرسمي لجمعية علماء الجزائر وقد اهتمت كثيرا بهذا الملف المعقد .ونظرا للعلاقات القوية التي تربطهم برجال الإخوان . والتي تعززت مع مرور الأيام بهجرة بعض علماء الجزائر إلى مصر . أمثال الإبراهيمي الذي كانت أولى محطاته النزول في مركز الإخوان وإلقاء الدروس والمحاضرات في العديد من نشاطاتهم بالقاهرة للتدليل على الأواصر المتينة بين الطرفين[1]، وكان له لقاء مع قيادة الإخوان في مصر والهيئة العربية العليا لفلسطين لتدارس ما يمكن للجمعية أن تقدمه من دعم[2].ولأن هذه الجماعة كان لها دورا هاما في تطور الأحداث و الحرب مع إسرائيل، وحلقات الصراع الدائر بينها وبين النظام المصري ،وكونها أصبحت تمثل قوة ضاغطة تساهم في توجيه الأحداث،فإن الجمعية بحكم توازناتها الصعبة تميزت مواقفها بعدم الوقوع في حلبة الصراع بقدر ما سعت إلى إرضاء كل الأطراف وتمتين صلاتها بهم.

وكان منبر الصحافة له فضلا كبيرا في التواصل بن رجال الإصلاح والمشرق العربي . فكان الفضاء الأنسب للتعبير عن مواقفهم ومن ذلك : ما كتبه الشيخ أحمد سحنون (1907 ـ 2003) مقالا عن المرشد حسن البنا معجبا به ومما جاء فيه " فقد وهب نفسه وقلمه وحياته لله ولنصرة دين الله ولو عاش ....لمحى اسم الاستعمار من الوجود " .[3] كما تابعت الصحف الإخوانية الشأن في الجزائر ، وكانت البصائر تنقل بعض المقالات عن الصحافة الإخوانية وكتب السيد قطب عدة مقالات في البصائر التابعة للجمعية . **5 ـ – موقف علماء الجزائر من أزمة الإخوان مع النظام المصري**

في نهاية الأربعينات من القرن الماضي تموقعت حركة الإخوان في معظم المشرق العربي وصار لها تأثيرا واضحا وحضورا سياسيا أصبح يقلق بعض الأنظمة العربية [4] .إذ كان عاملا مهما في دفع النظام الملكي في المعركة ضد إسرائيل سنة 1948 لتزايد مد التيار الإسلامي ومحاولة الملك استثمار ذلك لصالحة [5]، ويبدو أن تيار الإخوان نجح في تعبئة الجماهير والشرائح المختلفة في القضية الفلسطينية والأعمال الفدائية في القناة قبل الثورة[6]،بل انتقل نشاطه الفكري والسياسي إلى بلدان عربية أخرى وهو ما جعل بعض الدول تحاصر هذه الحركة في كل من سوريا ولبنان والأردن والعراق [7].

---

[1] –بشير فايد ،الشيخ البشير **الإبراهيمي ودوره في القضية الوطنية** ، 1920–1965 ,مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر, جامعة منتوري قسنطينة ، الجزائر ، 2001 , ص 119.

[2] –بدون كاتب "رحلة الأستاذ الجليل إلى الشرق " **البصائر** ، العدد 188 ،السنة5 ، 12 رجب 1371هـ 7 أفريل 1952م ، ص2.

3 ـ نفسه.

[4] –علاء طاهر، **العالم الإسلامي في الاستراتيجيات العالمية المعاصرة** ، ط 1 ، مركز الدراسات العربي والأوروبي ، دار بلال ، بيروت ، لبنان, 1998 ، ص :408 .

[5][5] –حسن نافعة ، مرجع سابق ، ص 15 .

– [6] –SEYD Qotb « le génie de Haçan EL Banna », Le Jeune Musulman, N^0 26, 2emeanneé 8Djemada2,1373,28-1-1954.P:07.

[7] –اعتبرت الحكومة العراقية أن مصر هي مصدر انطلاق هذا التيار وقامت بإخراج أنصاره من أراضيها ونفس السلوك اتبعته فيما بعد سوريا ولبنان والأردن، أنظر الصحيفة الفرنسية

ورغم الموقف الحرج فإن الجمعية أبدت رأيها في الأزمة بين الإخوان والنظام المصري وخاصة عند اغتيال حسن البنا [1] فأشادت البصائر بهذا الرجل واصفة إياه بالشهيد، وأن جماعة الإخوان تعمل على تطهير المجتمع وإصلاحه وتمنت أن تُسيَّج مثل هذه الحركات بدعاة ومرشدين في إطار متين حتى لا تترك التصرفات للعامة ، واعتقدت أنه ظهر في كنفها أشخاص لهم تصرفات لا ترضاها القيادة العامة أو تُسَرُّ بوجودها وهو ما جعل مصر تبقي قسما من جندها في ثكناته لحراسة الأمن الداخلي [2]وحتى بعد قيام ثورة يوليو 1952 بقيت **البصائر** تتعاطف كثيرا مع جماعة الإخوان وتتناول مشكلة صراعها مع النظام ولكنها نسبت أعمال العنف إلى فئة خرجت منها ، وخاصة لما بلغ الأمر ذروته في عهد عبد الناصر.و قد جاء في مقال "وإذا قطعنا النظر عما هو واقع في مصر من محاكمات طائلة واسعة المدى ضد الجماعات الكثيرة من جماعات الإخوان المسلمين المتهمين بالعمل على الانقلاب ....وإذا قطعنا النظر عن تلك الأحكام الصارمة القاسية التي صدرت عن الكثيرين منهم ، ومنهم أحكام الإعدام التي وقع تنفيذها بغاية السرعة وبكل أسف"[3]وفي مقال آخر كانت أكثر صراحة في معارضة سياسة التصفية " ولم يكن من الهين علينا أن تصاب جماعة الإخوان المسلمين ذات المبادئ السامية بمثل هذه الضربات الصارمة التي تكيلها لها الحكومة اليوم جزاء ما اقترفته فئة منها تسترت برداء السرية وأمعنت في التسلح الغير قانوني[4].

والملاحظ أن موقف توفيق المدني كان متذبذبا في هذا الصراع حيث صرح أن الهضيبي[5] كان يقود معارضة ولكنها مرنة ويعمل على المحافظة على الأوضاع،[6] ومن جهة أخرى كتب حول حادث محاولة اغتيال عبد الناصر" ويقول البحث الرسمي أنه من الذين هيأتهم دائرة خاصة في جماعة الإخوان المسلمين المتأثرة بسياسة الهضيبي...ومن عجب الإخوان ، وهم نخبة النخبة في بلاد مصر من حيث الإيمان والحمية والإخلاص والانقطاع لدعوة الحق، لم يستطيعوا قبل فوات الوقت التغلب على هذه النزعة الغريبة التي بدت من الأستاذ الهضيبي"[7].

وبالتالي فإن اعتماد توفيق المدني على الإعلام الرسمي المصري في تتبع الوضع السياسي وكذلك تأثير عبد الناصر[8] في توجيه الأحداث له أثر واضح.

Gouvernement Général de l'Algérie « les réactions dans le monde musulman » , Bulletin des questions islamiques ,Décembre 1954 ,P :138

[1] –المرشد العام للإخوان من (1928 –1949).

[2] –" منبر السياسة العالمية " **البصائر**،العدد68، مصدر سابق ،ص 5 .ويبدو أن توفيق المدني كان في توافق كبير مع الصحافة الرسمية المصرية في تحميل هذه الجماعة قتل النقراشي وإشاعة الإرهاب في مصر وهو ما دفع الحكومة إلى محاصرة الحركة ومصادرة مؤسساتها وأملاكها.

[3] –" منبر السياسة العالمية " **البصائر**،العدد 300،السنة7 ،13 جمادى الثانية 1374هـ ، 17 ، 2 ، 1954 ، ص 4 .

[4] –" منبر السياسة العالمية " **البصائر**، العدد ، 294 ، السنة 7 ، 30 جمادى الثانية 1374 هـ، 26 نوفمبر 1954م،ص 4.

[5] –المرشد الثاني بعد حسن البنا لجماعة الإخوان

[6] –بدون كاتب "الإخوان المسلمون" **البصائر** .العدد 280 ، السنة 7, 23 ذي القعدة 1373 هـ ،23 جويلية 1954م .ص 8 .

[7] –" منبر السياسة العالمية "**البصائر**، العدد 355، مصدر سابق، ص 4.

[8] –ذكر أحمد حموش (أحد الضباط الأحرار)أن عبد الناصر كان ضمن الإخوان قبل الثورة . تصريح يوم 30 جانفي 2001 بقناة الجزيرة.

والملاحظ أن هناك وساطة ومحاولة لتجنب الصراع من قبل رجال الجمعية حيث توسط الورتيلاني بين قيادات الإخوان والحكومة المصرية[1].

وظلت الأزمة التي اندلعت بين الإخوان والنظام المصري مثار جدل في الفكر الإصلاحي الجزائري ، وانتابها نوع من التريث في المواقف والتبرئة للإخوان أحيانا . فالأستاذ مالك بن نبي يشير في الذكرى الرابعة لاغتيال حسن البنا بأنه لم يتجاوز وإنما كان ينشر المبادئ القرآنية في الأوساط الشعبية واصفا إياه بالرجل الذي أشعل الثورة[2](يقصد الثورة الفكرية والثقافية) . ومن دون شك أن الذي يعود لقيادات يميل إلى هذا الطرح . فالمرشد الأول للإخوان يقول:

"وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولوا الأمر في إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل فسيؤدي ذلك حتما إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال وإهمال مرافق الإصلاح" [3].

ويشاركه المرشد الثاني للإخوان من خلال رفضه هدر دماء المسلمين [4]، ويبدو أن الخلاف بدأ منذ حرب1948 بفلسطين حين عارضت الجماعة الهدنة ، وطالبت باستئناف القتال وعدم تمديدها وردّت صحيفة"الإخوان المسلمون"[5]على الأصوات المنادية بالهدنة وعدم الزج بالشباب المصري وربطت ذلك بالعلاقة المشبوهة بين الشركات اليهودية وباشوات مصر ورأسمالها وسادتهم الإنجليز[6].ثم زاد الخلاف في عهد عبد الناصر وخاصة بعد الإمعان في التصفية والاعتقالات ورغم هذه الظروف والموقف الحرج فقد استطاعت الجمعية أن تحافظ على علاقاتها مع عبد الناصر وحاولت أن تستفيد منه لخدمة القضية الجزائرية، ومحاربة الاستعمار وحتى أواخر أيام **البصائر** وجهت له رسالة تهنئة باتفاقية جلاء الإنجليز[7].

---

[1]- Gouvernements Général de l'Algérie « les frères musulmans en Egypte » Bulletin des questions islamiques N256 :,Décembre 1954 ,P :115..

-[2] Malek Bennabi , « Haçan el banna » le jeune musulman, N° :16,1er année ,Djemada 2 ,1372 ,27 février ,1953,P : 1.

[3] -حسن البنا، **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**، شركة الشهاب الجزائر, د ت ط،ص136.

[4] -حسن إبراهيم الهضيبي ، **دعاة لا قضاة**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، د.ت. ط، الجزائر، ص،41،40 .

[5] – لسان حال الإخوان المسلمين، تولى محب الدين الخطيب إدارتها في إحدى المراحل وهذا ما يؤكد العلاقة الوطيدة بين الجماعة ومحب الدين ، للمزيد أنظر عبد العزيز الرفاعي،**الديمقراطية والأحزاب السياسية في مصر الحديثة والمعاصرة 1870 –1956** ،ط1،دار الشروق،القاهرة،1977،ص 211 .

[6] – ذكر هذا المصدر أن رئيس اتحاد الصناعات المصري وبعض البورجوازيين طالبو إشفاقا على الجيش المصري بالهدنة لأنها حرب لا ناقة فيها ولا جمل . أنظر :عواطف عبد الرحمان، **مصر وفلسطين** ،ط 2 ربيع الأول 1400 هـ فيفري 1980 م ،المجلس الوطني للثقافة والفنون و الآداب، الكويت، ص 274.

[7] -" منبر السياسة العالمية " **البصائر**، العدد 355 ، مصدر سابق، ص4.

وبالمقابل ظلت على علاقة حميمة مع الإخوان المسلمين فكان التوافق على خدمة القضية الفلسطينية والتعبئة لها والإصلاح العقائدي والفكري الشامل ومواجهة الاستعمار بكل أشكاله وفي نفس الوقت كانت تطالب الحكومات الناشئة لإقامة أنظمة تتناغم مع شعوبها في هويتها وتمثيلها.

➢ **أثناء مرحلة الثورة التحريرية**

كان للثورة التحريرية صدى كبيرا في المشرق العربي وانبرى لهذه المهمة الدعائية عدة شخصيات قيادية في الثورة[1] وأخرى إصلاحية وتجاوب الإخوان معهم إلى حد كبير وتقديم الدعم الإعلامي والموقف السياسي .أما من جانب التيار الإصلاحي فكان حضور الورتيلاني والإبراهيمي وقربهما من هذه الجماعة له الأثر الواضح .فنشر الورتيلاني موقفه من خلال جريدة الإخوان المسماة : " الدعوة " تحت عنوان : الثورة الجزائرية والمغرب العربي [2] جاء فيه : " أيها المواطنون الأحرار مهر الحرية غال وإنه لا ينفذ إلا دماء تراق ونفوسا تزهق .فوطنوا أنفسكم على تحمل الشدائد والمكاره ، وإن وطنكم عزيز فادفعوا في تحريره الثمن الباهظ " [3]

وكان التضامن مع الثورة الجزائرية ظاهرة شاملة وعامة في المشرق العربي بين أنصار التيار الإخواني ويمكن رصد الكثير من المواقف المتناغمة لقادتهم في بلدان المشرق العربي لصالح الثورة الجزائرية وكلهم كانوا على صلة بالإبراهيمي والورتيلاني . فنجد المراقب العام في سوريا : مصطفى السباعي يخصص مساحة إعلامية معتبرة لنصرة القضية الجزائرية وأنها ستغير مجرى التاريخ [4]. وفتح صفحات مجلة حضارة الإسلام لأقلام إصلاحية جزائرية لخدمة القضية بمقالات قوية وجريئة ومن هؤلاء : ،توفيق المدني ، محمد الغسيري ، الورتيلاني ، الإبراهيمي.

ونفس الموقف كان لقيادة العراق على لسان محمد محمود الصواف الذي أبدى عاطفة قوية اتجاه الثورة الجزائرية ، ومن خلال كونه رئيس جمعية الأخوة الإسلامية ، وبمشاركة بعض العلماء والساسة العراقيين فقد ساهم الصواف في تأسيس "لجنة مناصرة جهاد الجزائر " التي كان لها دورا بارزا في التوعية وجمع التبرعات [5]

➢ **الخاتمة**

وختاما للموضوع يمكن القول أن التواصل شيء طبيعي بين الجزائر والمشرق العربي بحكم الامتداد الديني واللغوي ، ولكن الذي نريد الوقوف عليه هو الوسائل التي استثمرت في نسج هذه الروابط وفي مقدمتها رحلات الحج وطلبة العلم التي من خلالها توثقت العلاقات العلمية ، واستفاد علماء الجزائر من المكتبات وخزائن الكتب الموقوفة على الحرمين الشريفين. وتعزز هذا التواصل مع علماء ورجال الإصلاح والسياسة وخاصة في بلاد الحرمين الشريفين والقدس ومصر . ومنهم من استقر هناك وترك بصماته العلمية والسياسية.

---

[1] ـ قيل أن محمد خيذر أحد قادة الثورة كان على صلة وعلاقة طيبة بجماعة الإخوان محاولا الاستفادة من كل الجهات الداعمة للثورة . أنظر : مولود عويمر ، مرجع سابق ص 27.

[2] كان ذلك في : 07 نوفمبر 1954

[3] ـ نفسه ، ص 25 .

[4] نفسه ص 28 .

[5] . نفسه ،ص 27 .

ومن المهم جدا الوقوف على المساهمة الفعالة للنخبة الجزائرية في المشرق العربي وخاصة خلال الفترة المدروسة ، فكان لها موضع قدم بين أهل العلم والسياسة هناك، وانتقلت من التلقي إلى المساهمة والمساعدة بالرأي والموقف وأحيانا حتى بالجانب المادي كما هو الحال اتجاه القدس . كما كان لهم حضورا وتفاعلا كبيرا مع قضايا المشرق السياسية واهتمامات الحركات الإصلاحية فيه وخاصة حركة الإخوان المسلمين التي كانت في مقدمة المشهد بمصر .وقد أدلى علماء الجزائر بمواقفهم ونصائحهم وقدموا جهد المقل رغم الوضع الاستعماري القاسي تعبيرا منهم على وحدة الهموم والامتداد العربي .

وكانت الحركة الإصلاحية عنصرا فاعلا في صنع جسور التواصل مع المشرق العربي مستغلة في ذلك جملة من الوسائل الدينية والعلمية والسياسية لتثبت حضورها ضمن حلقات التفاعل مع المشرق العربي ، وساعده على ذلك التكوين الديني ومنظومة القيم التي تشترك فيها مع علماء وكثير من الساسة في المشرق العربي .

وإذا كانت وسيلة الحج ، أو الهجرة العلمية هما من الوسائل التقليدية ، فإن التواصل الصحفي قد أعطى دفا كبيرا لهذا الاحتكاك الفكري والسياسي في ظل الظروف الاستعمارية التي كانت تتطلب المزيد من التنسيق والتضامن ، وكذلك القضية الفلسطينية التي كانت محورية في كل مسارات التفاعل السياسي .وصارت قضية مركزية لكل العرب والمسلمين .

والملاحظ أن سلطة الاحتلال الفرنسية في الجزائر كانت كل هيئاتها الأمنية على تتبع لمسار هذا التنسيق ولو كان على المستوى الإعلامي ، وتنظر بعين الريبة والتآمر حول أي علاقة جزائرية مشرقية وأنها على حساب مصالحها الاستعمارية . كما أن الحركة الإصلاحية الجزائرية وسعت من علاقاتها مع : العلماء والهيئات والمسؤولين بالمشرق العربي ، مما أعطاها حركية وحضورا في العديد من المحطات والقضايا .